بد ان نلاحظ كتلتين اساسيتين في صفوف العمال الفلسطينيين الاولى وهي جمعية العمال العربية الفلسطينية، الثانية وهي النقابات العمالية ذات النفوذ الشيوعي العربي وبشكل خاص مؤتمر العمال العرب (١٩٤٥ ــ ١٩٤٨) : ان جمعية العمال العربية الفلسطينية (١٩٢٥ ــ ١٩٤٩) هي المنظمة النقابية التاريخية للطبقة العاملة العربية في فلسطين ، والجسم التنظيمي الاكبر لها بلا منازع حتى نهاية الحرب ، وهي بالتالي المنظمة ذات التعبير الامين على تطور الطبقة العاملة في فلسطين منذ تبلور اشكالها الاولى ، بل ان بعض نماذجها العمالية القيادية بقيت تمارس دورها حتى سنوات قريبة معاصرة في صفوف الحركة العمالية الفلسطينية خارج الاردن (الضفتين)وفي صفوف الحركة العمالية في الاردن (الضفتين)(٧٥). ففي عام ١٩٢٥ ، اي في سنة نشوء الجمعية كانت أهداف الجمعية تعبر عن اهداف نقابية محضة « تحديد ساعات العمل ، تعديل الاجور ، وترتيب المعاشات والمكافأة في حالة العطل او العجز او الاصابة ، منح الاجازات والعلاوات ، ووضع انظمة الترقيات واعداد الوسائل لتسهيل سكناهم وتعليم ابنائهم ووقاية صحتهم بشرط ان تكون كل اعمالها ضمن دائرة القانون والنظام وان لا تتناول الامور الدينية والسياسية »(٧٦) اي انحصرت اهدافها في تنظيم الاستغلال الرأسمالي وفق شروط السوق وتطورت بأفق اصلاحي على غرار التريديونية البريطانية للدعوة عام ١٩٤٦ الى « الاشتراكية » عن طريق « النقابة » ، وان « طريق الاشتراكية » هو « طريق التطور » لا الثورة(٧٧)كما جاء في قرارات مؤتمر الجمعية السنوي المشار اليها سالفا، وبالتالي يمكننا ان نلاحظ ايديولوجية السلم الطبقي ، الاصلاح الاجتماعي ، الاساليب القانونية . . . الخ وهي السمة الارسخ في توجهات جمعية العمال العربية الفلسطينية على يد ارستقراطية عمالية متفرغة ، فنية صفراء .

اما النقابات التي حملت اتجاه الحزب الشيوعي في الحركة العمالية الفلسطينية ، فقد كانت قليلة نسبيا كما كانت محصورة في قطاعات محدودة ، ورغم ان عددا من النقابيين الشيوعيين قد عملوا في جمعية العمال العربية الفلسطينية ، الا ان قسما آخر من النقابيين كانوا خارجين عن هذه الجمعية في نقابات مستقلة . لذلك فان انشقاق الحركة النقابية العمالية عام ١٩٤٥ واستقلال الشيوعيين في تجمع نقابي واحد « مؤتمر العمال العرب » يظهر اتجاها اصيلا ذا مقدمات تاريخية في سياسة وبرامج الشيوعيين النقابية في صفوف الطبقة العاملة .

مهما يكن من أمر جمعية العمال العربية الفلسطينية ، فانه لا يبرر من منظور ماركسي لينيني ان يأخذ الحزب الشيوعي سياسة نقابية في صفوف العمال ذات جوهر انقسامي ، فلا بيروقراطية جمعية العمال ولا انعدام تقاليدها الديمقراطية (عدم شروعها بالانتخابات والتمثيل في الفروع على اساس الانتخاب) ولا بنيتها السياسية « نقابة صفراء » يقدم حجة كافية لشق الحركة العمالية الموحدة تاريخيا . ان عملية الشق التي اخذت تعبيرها الحاسم في صيغة مؤتمر العمال العرب منذ عام ١٩٤٥ ، قد شكلت هروبا من مهمات النضال داخل جمعية العمال العربية الفلسطينية على طريق تحرير القاعدة العمالية من ثقافة وأوهام وتقاليد نضال النقابيين الصفر دعاة السلم الطبقي ، والاصلاح الاجتماعي وحزب التطور نحو الاشتراكية الطوباوي . ان تكتيك الشيوعيين وسياستهم اليومية على صعيد النقابات العمالية في حقبة تعريب الحزب وتقدم تحليلاتهم وانتهاجهم موقفا طبقيا ووطنيا وامميا سليما من مجمل التطورات في فلسطين والارض العربية كما عبرت عنها وثائقهم (١٩٣١) هذا التكتيك وهذه السياسة النقابية تعبر عن انفصام متعسف ، وجنوح ذاتي في التقليل من اهمية وجوهرية وحدة صفوف الحركة العمالية سواء على صعيد نضالاتها الخاصة او على صعيد نضالها الوطني . مع ذلك ، فان بعض ما هو متوفر حول نضال النقابيين الشيوعيين ، في حقبة مؤتمر العمال العرب ، يقدم لنا مواقف متناقضة تقريبا ، هو تجل عملي لضروب التناقض في صفوف عصبة التحرر الوطني